أصعب قرار

رجعت زينب – شابة ممشوقة القوام متناسقة الملامح دمثة الخلق - بذاكرتها إلى يوم انقضى عليه أكثر من خمس سنوات حينما كانت تجلس بمكتبها بإحدى المصالح الحكومية ، وفجأة وقف شابان على باب المكتب يتأبط أحدهما الآخر ، انصرف أولهما بينما تحسس الآخر خطاه داخل المكتب وقد استرعى الأنظار بطوله الفارغ وأساريره المنفرجة ووجهه الباسم الذى ينطوى على أسنان ناصعة البياض ، واصل خطواته داخل المكتب حتى ارتطم بها وهى تجلس مكانها ، وأسرعت يداه تتبين ذلك الشيء الذى اصطدم به ، ولابد أنه فى ذلك اليوم أيقن بحاسة اللمس أنه ارتطم بأنثى ناضجة

تلعثم الشاب مبديا أسفه وقد ترامى إلى سمعه ضحكات مكتومة من بعض موظفي المكتب وتوالت عباراته خجلي ولاسيما عندما نهض " العربى زاهر " – الموظف بالمكتب – ينهره ويسبه متهما إياه بالوقاحة وسوء الخلق ولكنها تصدت له ومنعته من إيذائه ووقفت حائلا بينهما وظلت تهدأ من روعه حتى سكن وعاد إلى مكانه ، أجلسته بجوارها وأخذت تطيب خاطره ، عرفت أنه يدعى " عبد الفتاح " طالب بالسنة النهائية بكلية أصول الدين " جاء بغية تحرير إقرار من اثنين موظفين يفيد تفرغه للدراسة وذلك لتقديمه لكليته للحصول على مساعدة مالية ، طلبت من الساعى أن يحضر له كوبا من الشاى وأخذت تنتقل بين المكاتب حتى أنهت له مطلبه فشكرها وانصرف دون أن يعلم عنها شيئا سوى اسمها .

انصرف الشيخ " عبد الفتاح " من المكتب ولكنه لم ينصرف من ذهنهـــــا ، فقـــــد اســـــتولى علـــــى قلبهـــــا ، أنها تغمض عينيها فتراه ، وتصم أذانها فتسمع نغمات صوته ،أنها لم تره ولم تسمع صوته إلا لدقائق معدودة إلا أنها تشعر بوجوده وكأنه لم يخلق إلا من اجلها . لم تصدق " زينب نفسها عندما اكتحلت عيناها برؤياه للمرة الثانية بعد قرابة ستة اشهر يتأبط ذراع نفس الشاب الذى كان يرافقه فى المرة الأولى ودخلا غرفة مجاورة لمكتبها .

أتت إليها زميلاتها " كوثر" تخبرها أن الشيخ " عبد الفتاح " يرغب فى الارتباط بها ويود معرفة رأيها مع الأخذ فى الحسبان أنه فى حال موافقتها ستربط مصيرها بمصير كفيف البصر .

تذكرت فرحتها رغم معارضة الأهل وتصريح أحد الزملاء أن موافقتها بدافع الشفقة ولن تدوم طويلا وسوف تتلاشى وتذوب كما تـــذوب ألـــواح الـــثلج ولا يبقـــى ســـوى اللوعـــة والنـــدم، وقفز إلى مخيلتها محاولة إحدى الزميلات فى استماتة وإصرار إقناعها برفضه حتى كادت ان تنساق وراءها لولا إنها علمت بالصدفة أن تلك الزميلة قد طلبت من " كوثر " أن تزوجها إياه .

وتراءى أمام ناظريها كفيلم سينمائى ما سبق أن رأته عندما توجهت إلى الله بصلاة الاستخارة ووجدت نفسها تقود سيارة فارهة ويتلألأ بجوارها على اليمين مصباح ساطعة أنواره واستقرت فى بستان وارفة ظلاله يرفرف من حولها ثلاثة عصافير . يصدحون فى خفة ورشاقة .

ضحكت " زينب " ضحكات متوالية بصوت عال دون أن تدرى وهى تتذكر شقاوة أطفالها الثلاثة " فاطمة الزهراء " وميسرة " ومعاذ ومداعبتهم لأبيهم وهم ينادونه بالشيخ " عبد الفتاح " ويجردونه من لقب بابا وتقبله ذلك برضا وطيب خاطر ، وأشفقت على زميلتها تلك التي لم تتزوج بعد وما تزال تنتظر ابن الحلال . وأيقنت أن الصواب كان حليفها عندما اتخذت القرار وأصرت على خوض التجربة حتى النهاية بقناعة وإقدام .